

تفسير البحر المحيط

@ 449 @ وطلحة { فَمَا تَسْتَطِيعُونَ } بتاء الخطاب ، ويؤيد هذه القراءة أن الخطاب في { كَذَّبَ بُوَكُمْ } للكفار العابدين . وذكر عن ابن كثير وأبي بكر أنهما قرآ بما يقولون فما يستطيعون بالياء فيهما أي هم . { صَرَفَ } أي صرف العذاب أو توبة أو حيلة من قولهم إنه ليتصرف أي يحتال ، هذا إن كان الخطاب في { كَذَّبَ بُوَكُمْ } للكفار فالتاء جارية على ذلك ، والياء التفات وإن كان للمعبودين فالتاء التفات . والياء جارية على ضمير { كَذَّبَ بُوَكُمْ } المرفوع وإن كان الخطاب للمؤمنين أمّة الرسول عليه السلام في قوله { فَكَذَّبْ كَذَّبَ بُوَكُمْ } فالمعنى أنهم شديد والشكيمة في التكذيب { فَمَا تَسْتَطِيعُونَ } أنتم صرفهم عما هم عليه من ذلك . وبالياء فما يستطيعون { صَرَفَ } لأنفسهم عما هم عليه . أو ما يستطيعون صرفكم عن الحق الذي أنتم عليه . { وَلَا نَصْرًا } لأنفسهم من البلاء الذي استوجبوه بتكذبيهم .

{ وَمَنْ يَظْلِم مِّنكُمْ } الظاهر أنه عام . وقيل : خطاب للمؤمنين . وقيل : خطاب للكافرين . والظلم هنا الشرك قاله ابن عباس والحسن وابن جريج ، ويحتمل دخول المعاصي غير الشرك في الظلم . وقال الزمخشري : العذاب الكبير لا حق لكل من ظلم والكافر ظالم لقوله { إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ } والفساق ظالم لقوله { وَمَنْ لَّيْسَ بِهِ يَتُوبْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ } انتهى وفيه دسيعة الاعتزال . وقرء : يذقه بياء الغيبة أي [] وهو الظاهر . وقيل : هو أي الظلم وهو المصدر المفهوم من قوله { يَظْلِم } أي يذقه الظلم .

ولما تقدم الطعن على الرسول بأكل الطعام والمشى في الأسواق أخبر تعالى أنها عادة مستمرة في كل رسالة ومفعول { أَرَسُولًا } عند الزجاج والزمخشري ومن تبعهما محذوف تقديره أحداً . وقدره ابن عطية رجلاً أو رسلاً . وعاد الضمير في { أَرَسُولًا } على ذلك المحذوف كقوله { وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ } أي وما منا أحد والجملة عند هؤلاء صفة أعني قوله { إِلَّا زَهْمٌ } كأنه قال إلا آكلين وماشين . وعند الفراء المفعول محذوف وهو موصول مقدر بعد إلا أي إلا من . { أَرَسُولًا } والضمير عائد على { مِنْ } على معناها فيكون استثناء مفرغاً وقيل : إنهم قبله قول محذوف أي { إِلَّا } قيل { أَرَسُولًا } وهذان القولان مرجوحان في العربية . وقال ابن الأنباري : التقدير إلا وإنهم يعني أن الجملة حالية وهذا هو المختار . قد ردّ على من قال إن ما بعد إلا قد يجيء صفة وإما حذف الموصول فضعيف وقد ذهب إلى حكاية الحال أيضاً أبو البقاء قال : وقيل لو لم

تكن اللام لكسرت لأن الجملة حالية إذ المعنى إلاّ وهم يأكلون . وقرء { أَزَّهْمُ } بالفتح على زيادة اللام وإن مصدرية التقدير إلاّ أنهم يأكلون أي ما جعلناهم رسلاً إلى الناس إلاّ لكونهم مثلهم . وقرأ الجمهور : { وَيَمْشُونَ } مضارع مشى خفيفاً . وقرأ عليّ وابن مسعود وعبد الرحمن بن عبد الله { يَمْشُونَ } مشدداً مبنياً للمفعول ، أي يمشيهم حوائجهم والناس . قال الزمخشري : ولو قرئ { يَمْشُونَ } لكان أوجه لولا الرواية انتهى . وقد قرأ كذلك أبو عبد الرحمن السلمي مشدداً مبنياً للفاعل ، وهي بمعنى { يَمْشُونَ } قراءة الجمهور . قال الشاعر : % (ومشى بأعطان المباءة وابتغى % . قلائص منها صعبة وركوب .

. %)

{ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ بَعْضُهُم بِالْآخِرَةِ كَافِرٌ } . قال ابن عطية : هو عام للمؤمن والكافر ، فالصحيح فتنه للمريض ، والغني فتنه للفقير ، والفقير الشاكر فتنه للغني ، والرسول المخصوص بكرامة النبوة فتنه لأشراف الناس الكفار في عصره ، وكذلك العلماء وحكام العدل . وقد تلا ابن القاسم هذه الآية حين رأى أشهب انتهى . وروي قريب من هذه عن ابن عباس والحسن . قال ابن عطية : والتوقيف بالتصبرون خاص للمؤمنين المحقين فهو لأمة محمد صلى الله عليه وسلم) ، كأنه جعل إمهال الكفار فتنه للمؤمنين أي اختباراً ثم وقفهم . هل تصبرون أم لا ؟ ثم أعرب قوله { وَكَانَ رَجُلٌ مِّنْهُمْ يَصِيرُ } عن الوعد للصابرين والوعيد للعاصين . . وقال الزمخشري : { فِتْنَةٌ } أي محنة وبلاء ، وهذا تصبر لرسول الله صلى الله عليه وسلم (على ما قالوه واستبعدوه من أكله الطعام ومشيه في اوسواق